الاستعارة المكنية

الاستعارة المكنية هى ما كان المستعار منه محذوفا قد رمز إليه بشيء من لوازمه[1] وهى قسيمة الاستعارة التصريحية التى صرح فيها بالمستعار منه.

وقد أبان الشيخ عبد القاهر الجرجانى مضمونها، وهو بصدد التفريق بين هاتين الاستعارتين فقال: « ... وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله.... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.

هذا الضرب - يقصد المكنية - وإن كان الناس يضمونه إلى الأول - يريد التصريحية- حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء، وذاك أنك فى الأول تجعل الشيء الشيء ليس به، وفى الثانى للشيء الشيء ليس له، تفسير هذا أنك إذا قلت رأيت أسدا فقد ادعيت فى إنسان أنه أسد، وجعلته إياه، ولا يكون الإنسان أسدا، وإذا قلت: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.

فقد ادعيت أن للشمال يدا، ومعلوم أنه لا يكون للريح يد »[2].

وقد أفاض الشيخ عبد القاهر فى بيان الفرق بينهما فى مواضع من كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وبيان منزلة كل منهما، وليس من غرض هذا العمل الوقوف طويلا عند هذه التفصيلات، ولكننى أريد أن أعرض على عجل لنكتة مهمة ذكرها ضمن كلامه، وأكد عليها، مؤداها أن المكنية أبلغ فى توكيد المعنى، وأرسخ قدما فى إثباته من التصريحية، فقد قال: وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الأول فى إيجاب وصف الفصاحة للكلام، بل هو أقوى منه فى اقتضائها، والمحاسن التى تظهر به، والصور التى تحدث للمعانى بسببه آنق وأعجب...»[3].

وقد ساق عدة شواهد أوضح فيها سر هذه الأبلغية، وسبب تلك المحاسن التى تجليها هذه الاستعارة ومنها قوله: « ... ومن اللطيف النادر فى ذلك ما تراه فى آخر

---

(١) هذا رأى جمهور البلاغيين، وعليه سيكون تناول هذه الاستعارة - إن شاء الله تعالى.

(٢) دلائل الإعجاز: ٦٧. (٣) المصدر نفسه: ٤٦١.

هذه الأبيات وهى للحكم بن قنبر:

ولولا اعتصامى بالمنى كلما بدا لى اليأس منها لم يقم بالهوى صبرى
ولولا انتظارى كل يوم جدا غد لراح بنعشى الدافنون إلى قبرى
وقد رابنى وهن المنى وانقباضها وبسط جديد اليأس كفيه فى صدرى

ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشىء، ولكن على أنه أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه، وتمكن فى صدره، ولما أراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشىء، وبأنه متمكن منه، وأنه يفعل فيه كل ما يريد، كقولهم قد بسط يديه فى المال ينفقه، ويصنع فيه ما يشاء، وقد بسط العامل يده فى الناحية، وفى ظلم الناس، فليس لك إلا أن تقول إنه لما أراد ذلك، جعل لليأس كفين، واستعارهما له...»[1].

فهذا الشاعر قد استولى عليه اليأس، وملأ صدره، وقلبه، فوصفه بأوصاف الرجل القادر، المتمكن من عمله، المسيطر عليه، ولما وصفه بذلك جعل له كفين أسوة بهذا الرجل، واستعارهما له كما قال الشيخ - رحمه الله - وحسبنا هذه الإلمامة حول هذه الاستعارة، ومنزلتها.

وقد تناول صاحب لسان العرب الاستعارة المكنية على عدة صور:

إحداها: أن يصرح بلفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه، فمن ذلك ما ذكره من استعارة الكلكل لليل، فقد قال: «الكلكل من الفرس ما بين مَحْزِمِه إلى ما مسّ الأرض منه إذا ربض، وقد يستعار الكلكل لما ليس بجسم كقول امرىء القيس:

فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف أعجازا وناء بكلكل[2]

---

(١) نفسه: ٤٦٢.

(٢) الكلكل: الصدر، وناء بحمله نوءا - نهض به مثقلا (المعجم الوجيز).

وقد ذكر صاحب اللسان البيت برواية (بجوزه) والمشهور (بصلبه) والجوز من كل شىء وسطه (المعجم الوجيز).

وقد أشار التبريزى إلى رواية (بجوزه) فى الهامش، فذكر أنه روى عن الأصمعى (لما تمطى بجوزه) ومعناه لما تمدد بوسطه.

شرح القصائد العشر: ٣٥ ط -دار الجيل - بيروت.

وقالت أعرابية ترثى ابنها:

ألقى عليه الدهــر كلكله   مــن ذا يقـوم بكلكل الدهر

فجعلت للدهر كلكلا»[1].

فاستعمال الكلكل فى الفرس حقيقة - كما أشار والمح - ولكن إسناده للأشياء المعقولة، أو على حد تعبيره - لما ليس بجسم -استعارة، وهى فى إضافة (جوز) إلى ضمير الليل، وكذلك فى إضافة الكلكل إلى ضمير الدهر فى قول الأعرابية، فيكون كل من امرىء القيس، والأعرابية قد استعار الكلكل لليـل، والدهـر، فشبه الليـل، أو الدهر بالفرس، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو الكلكل، وذلك على مذهب السلف أو جمهور البلاغيين.

ومثل هاتين الاستعارتين الاستعارة فى قول الآخر:

إذا مـــا الدهر جـــرّ على أناس   كـــلاكله أناخ بـآخـــرينا

فــقل للشــامتين بنا أفــيــقــوا   سيلقى الشـامتـون كمـا لقـينا

وقد أعجب الشيخ عبد القاهر الجرجانى -رحمه الله - ببيت امرىء القيس؛ لأنه جمع فيه عدة استعارات يتبع بعضها بعضا، ويأخذ بعضها بحجز بعض فقال: «ومما هو أصل فى شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد، مثاله قوله امرىء القيس:

فقلت له لمـا تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل

لما جعل لليل صلبا قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجـازا قد أردف بهـا الصلب، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص، وراعى ما يراه الناظر من سواده، إذا نظر قدامه، وإذا نظر إلى خلفه، وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو»[2].

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة العرنين، وهو الأنف للدهر فقد قال: «الجدع القطع، وحمار مجدع مقطوع الأذن... واستعار بعض الشعراء الجدع والعرنين للدهر فقال: وأصبح الدهر ذو العرنين قد جدعا»[3].

---

(١) لسان العرب: ٥ / ٣٩٢١ (كلل).   (٢) دلائل الإعجاز: ٧٩.

(٣) لسان العرب: ١ / ٥٦٧ (جدع).

فنجد الشاعر قد أثبت للدهر عرنينا، ولا عرنين له على الحقيقة، فيكون قد شبه الدهر بما له عرنين، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالعرنين، وإثبات العرنين للدهر قرينة هذه الاستعارة، وهى ما يسميه البلاغيون استعارة تخييلية. وقد وقع لازم المشبه به هنا صفة للمستعار له، ولا يخفى أن هذا اللازم هو (ذو العرنين) أما قوله: (قد جدعا) فيبدو أنه ترشيح للاستعارة؛ لأنه جاء بعد تمامها واستيفاء قرينتها، وهو من ملائمات المستعار منه أعنى صاحب العرنين، وهو جملة فعلية.

وإن كان صاحب اللسان قد ذكر فى كلامه المتقدم أن العرنين والجدع معا مستعاران للدهر، لكنه قد أورد هذا الشاهد فى موضع آخر، وصرح بأن العرنين مستعار للدهر، وأغفل قوله (قد جدعا) فقال: «وعرنين كل شيء أوله، وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون الشمم، يقال هم شم العرانين والعرنين الأنف كله... وفى قصيدة كعب -يقصد كعب بن زهير رضى الله عنه -شم العرانين أبطال لبوسهم[1].

واستعاره بعض الشعراء للدهر فقال: وأصبح الدهر ذو العرنين قد جدعا»[2] وقد عبر عن الاستعاره المكنية فى الموضعين بالفعل الماضى (استعار).

ومن ذلك الضرب ما ذكره من استعارة العض للدهر، والزمن، والحرب، والقتب[3] فقد قال: «العض الشد بالأسنان على الشيء، وفرس عضوض أى يعض، وكلب عضوض، وناقة عضوض بغير هاء..»[4].

فالعض من هذه الأشياء عض حقيقى بالأسنان لا مجاز فيه، وقد أردف صاحب اللسان كلامه المتقدم باستعمالات للعض جاءت على سبيل الاستعارة فقال: «وزمن عضوض أى كلب، قال ابن برى عضه القتب، وعضه الدهر، والحرب، وهى عضوض، وهو مستعار من عض الناب قال المخبل السعدى:

لعمر أبيك لا ألقى ابن عم ... على الحدثان خيرا من بغيض

غداة جنى على بنىّ حربا ... وكيف يداى بالزمن العضوض

---

(١) فى قصيدته المشهورة (بانت سعاد).

(٢) لسان العرب: ٤/٢٩١٦، ٢٩١٧ (عرن).

(٣) القتب: الرحل الصغير على قدر السنام. (المعجم الوجيز).

(٤) لسان العرب: ٤/٢٩٨٦ (عضض).

وأنشد ابن برى لعبد الله بن الحجاج:

وإنى ذو غنى وكريم قوم وفى الأكفاء ذو وجه عريض
غلبت بنى أبى العاصى سماحا وفى الحرب المنكرة العضوض

وملك عضوض شديد فيه عسف وظلم وعنف»[1].

واضح من كلامه أن العض مستعار من عض الأسنان للدهر، والحرب، والزمن، والقتب، والملك، فتكون هذه الأشياء قد شبهت بالحيوانات التى تعض بالأسنان، والأنياب، وحذف المشبه به ورمز إليه بالعض، وإثبات العض لهذه الأشياء استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية -كما هو واضح - وفى هذا تصوير وتشخيص لهذه الأشياء بأنها مؤذية غشوم، تؤلم الناس وترهقهم. وقد عبر عن هذه الاستعارت باسم المفعول (مستعار) فى قوله: (وهو مستعار من عض الناب).

وقد أضاف الزمخشرى استعارات أخرى للعض فقال: «ومن المستعار وعضه الأمر اشتد عليه... وعضه بلسانه تناوله... وبئر عضوض بعيدة القعر، كأنها تعض الماتح بما تشق عليه»[2].

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الخد لليل فقد قال: «الخد فى الوجه والخدان جانبا الوجه وهما ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشدق... ومنه اشتق اسم المخدة بالكسر وهى المصدغة، لأن الخد يوضع عليها... والجمع خدود... واستعار بعض الشعراء الخد لليل فقال:

بنات وطاء على خد الليل لأمّ من لم يتخذهن الويل

يعني أنهن يذللن الليل ويملكنه ويتحكمن عليه حتى كأنهن يصرعنه فيذللن خده ويفللن حده»[3].

من المعلوم أن الليل ليس له خد على سبيل الحقيقة، وقد استعار الشاعر له خدا، وأثبته له، وإثبات الخد له استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فقد شبه الليل بإنسان-مثلا- وحذف المشبه به، ورمز إليه بالخد، ولازم المشبه به فيها مضاف وهو (خد) والمشبه مضاف إليه (الليل).

---

(١) المصدر نفسه: ٤/٢٩٨٨ (عضض).
(٢) أساس البلاغة (عضض). (٣) لسان العرب: ٢/١١٠٨ (خدد).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (الاست) لليوم الشديد الأيوم فقد قال: «السَّتْهُ، والسَّتَهُ، والاست معروفة... وقد يستعار ذلك للدهر، وقوله أنشده ثعلب:

إذا كشف اليوم العماس[1] عن استه فـــلا يرتدى مثلى ولا يتعمم»[2]

واضح أنه يقصد من الدهر اليوم -كما جاء فى البيت - وهو من أجزاء الدهر، فالشاعر قد استعار الاست لليوم، ولا است له على الحقيقة، فيكون قد شبه اليوم بشخص، أو شيء يكشف عن استه أى أنه يوم ثقيل شديد، فصوره بمن تجرد من ملابسه استعدادا للنزال والمقارعة، فهو كالداهية الملساء المرمريس التى لا متعلق منها، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الاست، والشاعر يقابل هذا اليوم بما يليق به، فلا يرتدى شيئًا، ولا يلبس ما يحمى رأسه من العمامة ونحوها.

وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة بالفعل المضارع المبنى للمجهول (يستعار).

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة (البَرْك) أى الصدر للشتاء، وهى شبيهة باستعارة الكلكل لليل، والدهر فقد قال: «وصلب العظام يصلبها صلبا، واصطلبها جمعها، وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به، وهو الاصطلاب، وكذلك إذا شوى اللحم فأساله قال الكميت الأسدى:

واحتل برك الشـــتاء منزله وبات شيخ العيال يصطلب

احتل بمعنى حل، والبرك الصدر، واستعاره للشتاء أى حل صدر الشتاء ومعظمه فى منزله يصف شدة الزمان وجدبه؛ لأن غالب الجدب إنما يكون من الشتاء»[3].

فقد استعار الشاعر الصدر للشتاء فى قوله (برك الشتاء) أى صدره، والشتاء لا صدر له، فقد شبه الشتاء بالجمل - مثلا - وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصدر، كأنه جثم عليه، وكده بالجدب، والجدع، وإضافة البرك للشتاء قرينة الاستعارة، وقد وقع اللازم فى البيت مضافا للمستعار له وهو الشتاء (المشبه) وفى هذا الشاهد تصوير لحياة بعض العرب، وأنهم كانوا يعيشون فى فقر مدقع، وضنك، وضيق، حتى يضطر هذا البعض لجمع العظام، وطبخها ليستخرج ما فيها من إدام ليؤتدم به.

---

(١) اليوم العماس الشديد أو المظلم -لسان العرب (عمى).

(٢) لسان العرب: ٣/١٩٣٦ (سته). (٣) لسان العرب: ٤/٢٤٧٧ (صلب).

وقد وقفت أمام قول صاحب اللسان: (.. لأن غالب الجدب إنما يكون من الشتاء) حائرا؛ لأن فيه نوع خفاء أو هكذا ظهر لى، فالشتاء زمن الخصب والنماء اللهم إلا أن يقصد أنه شتاء لا غيث فيه، أو أنه شتاء مدمر هلك فيه الزرع والضرع، ومنع الناس من السعى فى مناكب الأرض يبتغون من فضل الله.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الظماء جمع ظمآن أى العطاش، للنوازع، وهى الحنين والاشتياق إلى الأهل[1] فقد قال: «الظمأ العطش، وقيل هو أخفه وأيسره... وهو ظمىء وظمآن، والأنثى ظمأى، وقوم ظماء أى عطاش قال الكميت:

إليكم ذوى آل النبى تطلعت نوازع من قلبى ظماء وألبب

استعار الظماء للنوازع، وإن لم تكن أشخاصا»[2].

فالنوازع، وهى الحنين، والاشتياق معنى من المعانى لا تظمأ ولا تعطش، وقد استعار الشاعر لها الظمأ، وإن لم تكن أشخاصا يتأتى منها الظمأ على سبيل الحقيقة، ويقال فى إجراء هذه الاستعارة شبه الشاعر نوازع قلبه وهى حنينه وأشواقه إلى آل النبى ﷺ بقوم ظماء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الظمأ، واللازم فى هذه الاستعارة صفة لنوازع كما هو واضح والألبب الألباب والعقول جمع لب مثل الألباب[3].

ويبدو أن قوله (تطلعت) ترشيح للاستعارة؛ لأنه زائد على القرينة، وهويلائم القوم الظماء – أى المشبه به المحذوف – وكلمة (ألبب) معطوفة على نوازع فهى ظماء أيضًا. فكأنه قال نوازع ظماء، وألبب ظماء، فيكون فى البيت استعارتان.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الزكاء والنمو للعلم فقد قال: «الزكاء ممدود النماء والريع زكا يزكو زكاء وزكوا، وفى حديث على – كرم الله وجهه – المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، فاستعار له الزكاء وإن لم يك ذا جرم»[4].

فالزكاء وهو النماء لا يوجد فى العلم على سبيل الحقيقة بل هو مستعار من الأشياء التى لها أجرام كالنبات – مثلا – وإثبات الزكاء للعلم قرينة هذه الاستعارة

---

(١) ينظر المعجم الوجيز (نزع). (٢) لسان العرب: ٤ / ٢٧٦٠ (ظمأ).
(٣) جاء فى لسان العرب: واللب العقل، والجمع الباب وألبب: ٥ / ٣٩٧٩ (لبب).
(٤) لسان العرب: ٣ / ١٨٤٩ (زكا).

المكنية، وذلك الإثبات استعارة تخييلية، ويمكن أن يقال فى إجرائها شبه العلم بشى نام، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو النماء، فاستعار المحسوس للمعقول، ولازم المشبه به فى هذه الاستعارة جملة فعلية وقعت خبرا. وقد عبر عن المكنية هنا بالفعل الماضى (استعار).

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة السقى للموت فقد قال: «وشفَّ الماءَ يشُفُّ شفًّا، واشتفه، واستشفه... كل ذلك تقصى شربه قال بعض العرب لابنه فى وصاة أقبح طاعم المقتف، وأقبح شارب المشتف»[1].

فاشتفاف الماء حقيقة لغوية، وقد أتبع صاحب اللسان ذلك بذكر استعار الاشتفاف للموت فقال:

«واستعاره - أى الاشتفاف - عبد الله بن سبره الجرشى فى الموت فقال:

ساقيته الموت حتى اشتف آخره فما استكان لما لاقى ولا ضرعا

أى حتى شرب آخر الموت، وإذا شرب آخره فقد شربه كله»[2]. أى إنه سقاه الموت حتى الثمالة، فقد استعار الشاعر الاشتفاف للموت، فيكون قد شبه الموت بشىء مشروب، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالاشتفاف، واللازم هنا جملة (اشتف آخره).

ويتراءى لى أن الموت فى البيت مستعار للذل، والعذاب وليس المراد به الموت الحقيقى بقرينة لفظية هى قوله: «فما استكان لما لاقى ولا ضرعا) والذى مات لا يتأتى منه استكانة ولا تضرع.

ويبدو أن هذا الشاعر قد تأثر قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٧٦] فإن صح ما فهمته حول هذه الاستعارة، يكون المشبه فى المكنية قد وقع استعارة وليس أمرا حقيقيا.

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة الجبهة للقمر فقد قال: «الجبهة للإنسان وغيره، والجبهة موضع السجود... واستعار بعض الأغفال[3] الجبهة للقمر فقال أنشده الأصمعى:

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٢٢٩٠ (شفف). (٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) يقال شاعر غُفل أى غير مسمى، ولا معروف، والجمع أغفال، لسان العرب: ٥/ ٣٢٧٨ (غفل).

من لدُ ما ظهر إلى سحير حتى بدت لى جبهة القمير»[1]

أى أن استعمال الجبهة فى الإنسان وغيره حقيقة أما إثبات الجبهة للقمر، فهو استعارة مكنية، فقد شبه الشاعر القمر أو القمير بمن له جبهة كالإنسان – مثلا – وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجبهة.

وإثبات الجبهة للقمير استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية. واللازم فى هذه الاستعارة مضاف للمشبه، وهو جبهة، وهذه الاستعارة مطلقة.

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الأثناء، وهى ما تثنى من الحية ونحوها، لليل فقد قال: «ثَنَى الشيءَ ثَنْيًا رد بعضه على بعض، وقد تثنى وانثنى وأثناؤه ومثانيه قواه وطاقاته وثِنْيُ الحية انثناؤها – يقصد مصدر الفعل انثنى – وهو أيضًا ما تعوج منها إذا تثنت، والجمع أثناء واستعاره غيلان الرَّبَعِيّ لليل فقال:

حتى إذا شق بهيم الظلماء وساق ليلا مرجحن الأثناء

وهو على القول الآخر اسم»[2].

يقول إن (ثِنْى) الحية فى كلامه المتقدم له معنيان: **أحدهما**: أنه مصدر أى انثناؤها. **والثانى**: ما تثنى منها، وتعوج إذا تثنت وهو اسم، واستعارته لليل إنما هى على المعنى الثانى.

الاستعارة المكنية فى قول الشاعر: (ليلا مرجحن الأثناء) ومعنى (ليل مرجحن) أى ثقيل واسع، ويقال فلان فى دنيا مرجحنة أى واسعة كثيرة[3] فالليل كما صوره الشاعر حالك الظلام طويل ثقيل على نفسه.

فكثرة التثنى فى الحية ونحوها حقيقة، أما كثرة التثنى فى الليل، فهى استعارة مكنية، فيكون الشاعر قد شبه الليل الطويل بالحية الطويلة كثيرة الالتواءات، والتعاريج إذا تثنت، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (مرجحن الأثناء) واللازم فيها وقع صفة لليل، فهو ليل طويل متثن.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة الْعَيَفَان، وهو كراهية الطعام، أو الشراب

---

(١) لسان العرب: ١/٥٤٠ (جبه). (٢) لسان العرب: ١/٥١١ (ثنى).
(٣) المصدر نفسه: ٣/١٥٨٧ (رجح).

للكلاب فقد قال: «عاف الشيء يعافه عيفا وعيافة وعيافا وعيفانا كرهه طعاما كان أو شرابا... واستعاره النجاشي للكلاب فقال يهجو ابن مقبل:

تعاف الكلاب الضاريات[1] لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل»[2]

يبدو من كلام صاحب اللسان أن العياف في جانب الناس حقيقة لغوية على حد قول بعضهم:

وإني لشراب المياه إذا صفت وإني إذا كدرتها لعيوف[3]

أما إسنادها للكلاب، فهو استعارة - كما ذكر صاحب اللسان - فيكون الشاعر قد شبه الكلاب بمن يعاف، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بالفعل (تعاف)، وبناء على ذلك يكون اللازم في تلك الاستعارة هو الفعل (تعاف).

فالشاعر يذم ابن مقبل، وقومه بأنهم لا طعم لهم حتى إن الكلاب لو عرض عليها أكل لحومهم لتقززت منها وعافتها، وكفى بذلك ذما.

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة الدفيف، وهو السير الهادى (للدَّبَرَان) وهو نجم فقد قال: «والدفيف العَدْوُ الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين واستعارة ذو الرمة في الدبران فقال يصف الثريا:

يدف على آثارها دبرانها فلا هو مسبوق ولا هو يلحق»[4]

فالدفيف لمن يسير على رجليه، أو أرجله حقيقة لغوية - كما هو واضح من كلامه المتقدم، ولكنه في جانب النجم المسمى (دبرانا) في البيت استعارة مكنية، ويمكن إجراؤها بأن يقال شبه الشاعر الدبران بمن يسير سيرا هادئا، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الدفيف، واللازم في البيت فعل مضارع هو (يدف) والمشبه فاعل، وهو دبرانها، والقرينة هي إثبات (يدف) للدبران، وهي استعارة تخييلية.

وقد ألقى صاحب اللسان الضوء على (الدبران) في موضع آخر فقال: «الدبران

---

(١) الضارى من الجوارح والكلاب المدرب (المعجم الوجيز).
(٢) لسان العرب: ٤/ ٣١٩٢ (عيف).
(٣) أساس البلاغة (عيف).
(٤) لسان العرب: ٢/ ١٣٩٥ (دفف).

نجم بين الثريا والجوزاء، ويقال له التابع والتوبيع، وهو من منازل القمر سمى دبرانا لأنه يدبر الثريا أى يتبعها»[1].

ويبدو أن قول الشاعر فى الشطر الثانى: (فلا هو مسبوق، ولا هو يلحق) ترشيح للاستعارة، لأن السبق واللحوق من صفات المتسابقين، فهو من ملائمات المشبه به.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الأشطان وهى الحبال الطويلة التى يستقى بها من البئر..[2] للحياة فقد قال: «الشَّطَنُ الحبل... والجمع أشطان قال عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

وفى حديث علىّ عليه السلام وذكر الحياة فقال إن الله جعل الموت خالجا لأشطانها... والخالج المسرع فى الأخذ فاستعار الأشطان للحياة لامتدادها وطولها»[3].

الاستعارة المكنية فى قوله - رضى الله عنه - (خالجا لأشطانها) لأنه أثبت للحياة أشطانا، ولا أشطان لها على الحقيقة، وهذا الإثبات استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فقد شبه الحياة - أى الضمير العائد إليها- بالبئر العميقة، وحذف البئر، ورمز إليها بالأشطان.

ومن هذه الطريقة ما ذكره من استعارة الصمم، للحلم، فقد قال: «الصمم انسداد الأذن وثقل السمع... وقوله أنشده ثعلب:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى أصم وأذنى غير صماء

استعار الصمم للحلم، وليس بحقيقة»[4].

الصمم فى حقيقته ثقل السمع، وانسداد الأذن - كما قال - هذا فى الذى يسمع، والحلم معنى من المعانى لا يتأتى منه السمع، أو يلحقه الصمم، وقد أثبت الشاعر الصمم للحلم على سبيل الاستعارة المكنية، فشبه الحلم بإنسان -مثلا -

(١) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٢٠ (دبر). (٢) ينظر المعجم الوجيز (شطن).
(٣) لسان العرب: ٤/ ٢٢٦٤، ٢٢٦٥ (شطن)، والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٧٥.
(٤) لسان العرب: ٤/ ٢٥٠٠، ٢٥٠١ (صمم).

وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصمم. يصف نفسه بالحلم الشديد، وتحمل هذا الكذاب، وإهمال شأنه.

ولازم المشبه فى هذه الاستعارة وقع وصفا فى المعنى؛ لأنه خبر (حلمى أصم) وقد عبر عنها صاحب اللسان بالماضى (استعار) وأكد كونها استعارة بقوله (وليس بحقيقة).

ومن هذا النحو ما ذكره من استعارة (الشوى) أى الجلد، للرسائل، فقد قال: «... وفى الحديث لا تنقض الحائض شعرها إذا أصاب الماء شوى رأسها أى جلده، والشواة جلدة الرأس، وقول أبى ذؤيب:

على إثر أخرى قبلها قد أتت لها إليك فجاءت مقشعرا شواتها

أراد المآلك[1] التى هى الرسائل، فاستعار لها الشواة، ولا شواة لها فى الحقيقة، وإنما الشوى للحيوان»[2].

فالشواة فى الحقيقة جلدة الرأس، رأس الإنسان، أو الحيوان وقد أثبت الشاعر الشواة للرسالة، ولا شواة لها فى الحقيقة - كما ذكر - فيكون الشاعر قد شبه الرسالة التى جاءت فى إثر أخرى أى الضمير العائد إليها فى (شواتها) بالحيوان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالشواة.

واللازم فى هذه الاستعارة مضاف، والمشبه مضاف إليه - كما هو ظاهر - وإثبات الشواة للرسالة قرينة هذه الاستعارة وهى استعارة تخييلية، ويبدو أن قوله (مقشعرا) ترشيح لأنه زائد على قرينة الاستعارة، وملائم للمشبه به الحيوان.

(يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف)[3] وكان الشاعر يصف من جاءت إليه الرسائل بالقوة، وعزة السلطان حتى إن الرسائل وهى جمادات تخاف منه، وترتعد فرائصها من لقائه، وقد عبر عن هذه الاستعارة بالماضى (استعار) وأكد أمرها بقوله: (ولا شواة لها فى الحقيقة).

---

(١) المألُكة، والمألَكَة، والمألَك - الرسالة - المعجم الوجيز (ألك).
(٢) لسان العرب: ٤/٢٣٦٨ (شوا). والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/٥١٢.
(٣) الكشاف: ٣/٣٤٥.

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة الطموّ والطمىّ، للسّفاه فقد قال: «طما الماء يطموا طموا، ويطمى طميا ارتفع وعلا، وملأ النهر فهو طام، وكذلك إذا امتلأ البحر، أو النهر، أو البئر، ... وطما النبت طال، وعلا، ومنه يقال طمت المرأة بزوجها أى ارتفعت به، وطمت به همته علت، وقد يستعار فيما سوى ذلك أنشد ثعلب:

لها منطق لا هذريان طمى به سفاه ولا بادى الجفاء جشيب

أى أنه لم يعل به كما يعلو الماء بالزبد فيقذفه»(١).

يصف الشاعر هذه المرأة بأن لها منطقا هادئا جميلا، ليس خشنا، ولا زائدا عن الحاجة؛ لأنها امرأة عاقلة رزينة، وليس بها شيء من السفاهة التى ترفع أصوات السفهاء، وهذريان مثل مهذار، ومهذارة(٢) وجشيب خشن فيه غلظة(٣).

فقد أشار صاحب اللسان فى عجز كلامه المتقدم إلى أن منطقها لم يرفعه السفاه، كما يرفع الماء الزبد، فمضمون كلام الشاعر أنه شبه السفاه أى السفاهة بالماء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالفعل (طما)، وإثبات الطمو للمنطق – المعبر عنه بالضمير به – استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، ولازم المشبه به هنا فعل وهو طما، والمشبه فاعل، وهو السفاه.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة عدم النكش أى النزف، للشجاعة فقد قال: «... وبحر لا ينكش لا ينزف، وكذلك البئر، ونكشت البئر أنكشها بالكسر نزفتها»(٤).

واضح أن النكش فى هذه الأشياء التى ذكرها حقيقة لغوية، ولكنه أضاف أنه يأتى فى أشياء أخرى على سبيل الاستعارة فقال: «.. ومنه قولهم فلان بحر لا ينكش، وعنده شجاعة ما تنكش وقال رجل من قريش فى على بن أبى طالب – رضى الله عنه – عنده شجاعة ما تنكش فاستعاره فى الشجاعة أى ما تستخرج ولا تنزف؛ لأنها بعيدة الغاية»(٥).

يريد هذا الرجل القرشى أن يقول إن شجاعة على – رضى الله عنه – لا تنفد ولا

---

(١) لسان العرب: ٤/٢٧٠٧ (طما). (٢) ينظر أساس البلاغة (هذر).
(٣) ينظر لسان العرب ١/٦٢٦ (جشب). (٤) لسان العرب: ٦/٤٥٤١ (نكش).
(٥) المصدر نفسه والموضع. والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٥/١١٦.

تغيض، فاستعار عدم النكش لشجاعته، وأثبته لها، فيكون قد شبه الشجاعة بالبحر، أو البئر – مثلا – وحذف المشبه به، ورمز إليه بعدم النكش والنفاد، فالمستعار له الشجاعة والمستعار منه الماء، وإثبات عدم النكش للشجاعة استعارة تخييلية، واللازم أي لازم المشبه به جملة (ما ينكش) وهى صفة (الشجاعة).

ويبدو أنها مطلقة لأنه لم يذكر بعد قرينتها شيء يلائم المشبه به، أو المشبه.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة (اللغوب) وهو الإعياء والنصب، للريح فقد قال: « اللغوب التعب والإعياء، وألغبته أنا أنصبته، وفى التنزيل العزيز ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] ومنه قيل فلان ساغب لاغب أى مُعْيٍ، واستعار بعض العرب ذلك للريح فقال أنشده ابن الأعرابى:

وبلدة مجهل تمسى الرياح بها لواغبا وهى ناء عرضها خاوية»[١]

فالتعب والإعياء حقيقة فى الذى يحس به من الأحياء، لكن إسناده لمن لا يتعب كالريح فى البيت السابق استعارة استعير فيها اللغوب للرياح، ولا لغوب يلحقها على الحقيقة، فيكون الشاعر قد شبه الرياح بمن يتعب، ويصيبه الإعياء والكلال، وحذف المشبه به، ورمز إليه باللغوب أعنى بقوله (لواغبا) ولازم المشبه به فيها وقع خبرا للفعل (تمسى) وهو وصف فى المعنى.

ونلحظ أن الاستعارة هنا جاءت فى الخبر.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة (الآمة) وهى الشجة التى فى الرأس، للحشا، فقد قال: « وأمه يؤمه أمًّا فهو مأموم وأميم أصاب أم رأسه... المحكم وشجة آمة ومأمومة بلغت أم الرأس، وقد يستعار ذلك فى غير الرأس قال:

قلبى من الزفرات صدعه الهوى وحشاى من حر الفراق أميم»[٢]

فقد استعار الشاعر قوله: (أميم) من الرأس للحشا[٣] فيكون قد شبه جوفه وما فيه من أعضاء بالرأس الذى يشج، ويجرح جرحا بليغا، وحذف المشبه به، ورمز إليه بأميم وذلك من لوازم المشبه به.

---

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٠٤٦ (لغب). (٢) لسان العرب: ١ / ١٣٨ (أمم).

(٣) الحشا – ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطحال، والكرش، وما يتبع ذلك. المعجم الوجيز (حشا).

ولازم المشبه به هنا خبر – أى وصف فى المعنى، يقول إن قلبه من الزفرات أى إخراج النفس الممدود الطويل قد شقه الهوى والحب، وكسره، وباطنه مجروح مقروح، وقد بلغت جراحاته المدى.

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة الأفنان وهى الأغصان، للظلام فقد قال: «والفنن الغصن المستقيم طولا وعرضا... والفنن ما تشعب منه، والجمع أفنان ثم الأفانين.....

وأما قول الشاعر:

منا أن ذر قرن الشمس حتى أغاث شريدهم فنن الظلام

فإنه استعار للظلمة أفنانا، لأنها تستر الناس بأستارها، وأوراقها، كما تستر الغصون بأفنانها وأوراقها»[1].

فالأفنان والأغصان فى الحقيقة للشجر، وقد استعارها الشاعر فى البيت للظلام، فيكون قد شبه الظلام بالشجرة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالأغصان، وإثبات الفنن أو الأفنان استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية.

ولازم المستعار له وقع مضافا، والمستعار، أو المشبه مضاف إليه فى قوله (فنن الظلام).

ولعل صاحب اللسان قد بين فى كلامه المتقدم (الفنن) وهو مفرد بالجمع (الأفنان والغصون) لأن المفرد المضاف يعم – كما يقولون –.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة الصياح للنهار فى قول الفرزدق:

والشيب ينهض فى السواد كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار[2]

فقد حكى أنه «... لما قال ليل يصيح بجانبيه، استعار للنهار الصياح؛ لأن النهار لما كان آخذا فى الإقبال، والإقدام، والليل آخذ فى الإدبار، صار النهار كأنه هازم، والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أنه يصيح على المهزوم ألا ترى إلى قول الشماخ:

---

(١) لسان العرب: ٥/٣٤٧٦ (فنن).

(٢) هذه رواية لسان العرب (ينهض فى السواد) والمشهور (ينهض فى الشباب) ينظر أسرار البلاغة: ١٩٨.

وقد ذكره الشيخ محمود شاكر فى هامش الصفحة نفسها برواية (فى الشباب).

ولا قت بأرجاء البسيطة ساطعا من الصبح لما صاح بالليل نفّرا

فقال صاح بالليل حتى نفر وانهزم . . . »[1]

واضح فى كلامه إجراء هذه الاستعارة، فقد شبه النهار بمن هزم عدوه، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصياح، وإثبات الصياح للنهار قرينة الاستعارة، فالمشبه به المحذوف من يصيح بعدوه المهزوم الذى ولاه الأدبار.

وهذا المشبه به الذى قدر فى لسان العرب أدل على المراد، وإصابة الهدف من قول بعضهم يصور المشبه به ذاته: « . . فقد شبه النهار وهو يطرد الليل طردا سريعا برجل يصيح فى نواحى غنمه؛ ليزعجها من مكانها، ويحولها عنه، ودل على هذا التشبيه بإثبات الصياح للنهار »[2].

لأن المهزوم أمام عدوه يفر، ويجد فى الفرار، لا يلوى على شىء، أما الغنم التى تفر أمام راعيها الذى يصيح فيها، فإنها تتحول من مكان إلى آخر، ولا تلج فى الفرار، وتتمادى فيه.

ويبدو أن صياغة البيت على هذه الصورة توهم أن الضمير فى (كأنه) عائد إلى (الشيب) فى صدر البيت؛ لأن الكلام فيه؛ ولذلك عاب بعضهم هذا التشبيه وقال إنه منكوس لأنه « ذكر أن الشيب يبدو فى الشباب، ثم ترك ما ابتدأ به، ووصف الشباب بأنه ليل يصيح فيه نهار، والذى تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول كما ينهض نهار فى جانبى ليل »[3].

وهذا نقد له وجاهته بحسب الظاهر، ولكن من يتريث فى نظرته إلى التشبيه فى البيت يجد أن مضمونه كأنه نهار يصيح بجانبى ليل، ومقابلة الليل بالسواد، أو الشباب، تبرز هذا المضمون، وتؤازره، ولا تجعل معنى البيت غامضا أو مستغلقا.

وقد يجمل هنا أن أشير إلى أن فى اليت استعارة مكنية أخرى فى قوله: (والشيب ينهض فى الشباب . .) « فقد شبه الشيب بذى حياة وقدرة على النهوض . . » وقد أسند النهوض إلى الشيب، وتلك تخييلية »[4].

---

(١) لسان العرب: ٦ / ٤٥٥٧ (نهر).

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير: ٣٠.

(٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ١٢٥ شهاب الدين محمود الحلبى ت سنة ٧٢٥هـ تحقيق ودراسة اكرم عثمان يوسف – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٤٠٠هـ

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها: ٢ / ١٧٧، د/ فضل حسن عباس.

وفى البيت كله تشبيه تمثيلى شبه فيه صورة بياض الشيب، وهو يمحو سواد الشباب فى سرعة حتى لا يبقى منه شيئًا ببياض النهار، وهو يمحو سواد الليل حتى يزيله جملة، والوجه صورة شيء أبيض يمحو شيئًا أسود، ويحتل مكانه»[1].

ثانيتها: أنه كان يعبر عن الاستعارة المكنية بكلمة التشبيه، أو ما اشتق منها، فمن ذلك ما أشار إليه من استعارة ينْع الفاكهة ونضوجها لرءوس الناس فى كلام الحجاج المشهور فقد قال: «... وأما قول الحجاج إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها، فإنما أراد قد قرب حمامها، وحان انصرامها شبه رءوسهم لاستحقاقهم القتل بثمار قد أدركت وحان أن تقطف»[2].

الاستعارة المكنية كما يبدو فى قوله: (إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها) فقد أثبت الحجاج للرءوس صفة الفاكهة، وهى الينع، والنضج، فإنه يقال ثمرة يانعة، ومونعة أى نضيجة[3].

فيكون قد شبه رءوس الناس الذين يتوعدهم بالثمار التى أدركت، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالينع.

ولازم المشبه به جملة (قد أينعت) وهى صفة لرءوس. ويظهر أن جملة (وحان قطافها) ترشيح؛ لأنها جاءت بعد استيفاء الاستعارة قرينتها، وهى من ملائمات المشبه به، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله (شبه رءوسهم إلخ) وفى استعارة صفة الفاكهة لهذه الرءوس إيماء من الحجاج إلى أنها سهلة القطع، هينة الاستئصال، لا تستعصى عليه، ولا تتأبى على عقابه.

ومن هذا النوع ما أشار إليه من استعارة (الاستتباب) وهو تهيؤ الطريق واستواؤه، ووضوحه للسائرين – استعارته للأمر الواضح المستقيم، فقد قال: «استتب الأمر تهيأ واستوى، واستتب أمر فلان إذا اطرد واستقام وتبين، وأصل هذا من الطريق المستتب وهو الذى خدّ فيه السيارة خدودا وشركا، فوضح واستبان لمن يسلكه كأنه تبب من كثرة الوطء... فصار ملحوبا بينا من جماعة ما حواليه من الأرض، فشبه الأمر الواضح البين المستقيم به...»[4].

---

(١) ينظر دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير. الشيخ عبدالهادى العدل: ٣٠.

(٢) لسان العرب: ٦/ ٤٩٧٢ (ينع).

(٣) ينظر أساس البلاغة (ينع).

(٤) لسان العرب: ١/ ٤١٥ (تبب).

فقد استعير الاستتاب من الطريق للأمر، وإثباته للأمر استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فيكون قد شبه الأمر الواضح بالطريق الملحوب الذى ذللته، وعبدته كثرة السير فيه، ورمز إليه بالفعل (استتب) .

ولازم المشبه به فى هذه الاستعارة كما لا يخفى فعل ماض والمشبه فاعل (استتب) الأمر.

وقد اكتفى فى بيان هذه الاستعارة بقوله (فشبه الأمر الواضح) إلخ .

ومن هذا النوع ما أشار إليه من استعارة (شقاشق الإبل) جمع (شقشقة وهى ما يخرجه البعير، من فيه إذا هاج) للشيطان، فقد قال : « الشقشقة لهاة البعير وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج، والجمع الشقاشق، ومنه سمى الخطباء شقاشق شبهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر، وفى حديث على رضى الله عنه – إن كثيرا من الخطب من شقاشق الشيطان فجعل للشيطان شقاشق، ونسب الخطب إليه لما يدخل فيها من الكذب »[1] .

الاستعارة المكنية فى قول على – رضى الله عنه – (إن كثيرا من الخطب من شقاشق الشيطان) .

فقد أثبت للشيطان شقاشق وهذا الإثبات استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فيكون قد شبه الشيطان بالبعير، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (شقاشق) .

ولازم المشبه به مضاف، والمشبه وهو لفظ الشيطان مضاف إليه .

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (أشطر ضرع الناقة) للدهر فقد قال : « . . . وحلب الدهر أشطره أى خبر ضروبه يعنى أنه مر به خيره وشره، وشدته ورخاؤه تشبيها بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حفلا، وغير حفل، ودارا وغير دار، وأصله من أشطر الناقة، ولها خلفان قادمان وآخران كأنه حلب القادمين وهما الخير، والآخرين وهما الشر، وكل خلفين شطر »[2] .

الاستعارة المكنية كما يبدو فى قوله (وحلب الدهر أشطره) فأثبت للدهر أشطرا

---

(١) لسان العرب : ٤ / ٢٣٠٣ (شقق) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر : ٢ / ٤٨٩ .

(٢) لسان العرب : ٤ / ٤٤٦٢ (شطر) .

مثل أشطر ضرع الناقة – كما وضح صاحب اللسان – فيكون قد شبه الدهر بالناقة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالأشطر.

ولازم المشبه به فيها بدل (أشطره)، والمشبه مفعول به وهو الدهر، والفعل حلب ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به.

وقد عبر عنها بقوله (تشبيها بحلب إلخ).

ثالثتها: أنه كان أحيانا يشير إلى الاستعارة المكنية بلفظ (المثل) فمن ذلك ما أشار إليه من استعارة (الأطيط) وهو صوت أقتاب الإبل، وصوت الإبل، وحنينها فقد قال: «.. وفى الحديث أطت السماء، والأطيط صوت الأقتاب، وحنينها أى أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل، وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله عز وجل...»[1].

الاستعارة المكنية – كما هو باد – فى قوله ﷺ (أطت السماء) فقد أثبت الأطيط للسماء، ولا أطيط لها على الحقيقة، فيكون قد شبه السماء بالإبل، والأقتاب، وحذف المشبه، ورمز إليه بالأطيط، ولازم المشبه به الفعل الماضى (أطّ) والمشبه فاعل وهو لفظ (السماء).

ونلحظ أنه ﷺ قد استعمل فى تعبيره عناصر البيئة، ليقرب الأمور البعيدة بما هو مشاهد وماثل بين أيديهم، ليقرر قدرة الله وعظمته.

وقد عبر عن هذه الاستعارة بقوله (هذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة..).

ويدعم ما قلته أننى وجدت – بتوفيق من الله – بعض علماء الحديث قد جعل هذا التعبير النبوى نفسه فى حديث آخر استعارة مكنية، أو تمثيلية فقال وهو يتناول قوله ﷺ: «.. أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى..».

إنه «استعارة بالكناية شبهت السماء بذى الصوت من الإبل، ثم ذكر شيئًا من لوازم الإبل، والأقتاب المركوب عليها، وهو الصوت المعبر عنه بقوله أطت لينتقل الذهن منه إليه»[2].

---

(١) لسان العرب: ١/ ٩٢ (أطط).

(٢) دليل الفالحين، لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان: ٢/ ٣٠٢، ٣٠٣.

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة النحر للنهار، والظهيرة، والشهور فقد قال: «النحر الصدر، النحور الصدور... ونحر النهار أوله، وأتيته فى نحر النهار أى أوله، وكذلك فى نحر الظهيرة، وفى حديث الهجرة أتانا رسول الله ﷺ فى نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع، كأنها وصلت إلى النحر، وهو أعلى الصدر، وفى حديث الإفك حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة فقلت أية ساعة زيارة، ونحور الشهور أوائلها، وكل ذلك على المثل»(١).

واضح أن هنا عدة استعارات مكنية فى نحر النهار، ونحر الظهيرة، ونحور الشهور، فأثبت للنهار نحرا وللظهيرة نحرا، وللشهور نحورا، وليس لها نحور على الحقيقة، فيكون قائل هذه الاستعارات قد شبه هذه الأشياء بمن له نحر على سبيل الحقيقة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النحر، أو النحور، ولازم المشبه به فى تلك الاستعارات مضاف، والمشبه مضاف إليه، ويبدو أنها جميعا استعارات مطلقة، لم يذكر معها ما يلائم المشبه به أو المشبه.

وقد عبر عنها كلها بكلمة (المثل) فى قوله (وكل ذلك على المثل).

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (العجم) وهو عض الشيء ليعلم صلابته أو ضعفه، استعارته، لاختبار الرجل، فقد قال: «... وخطب الحجاج يوما فقال إن أمير المؤمنين نكب كنانته، فعجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرها عودا يريد أنه رازها بأضراسه ليخبر صلابتها... والعجم عض شديد بالأضراس دون الثنايا، وعجم الشيء.. عضه ليعلم صلابته من خوره... وعجم الرجل رازه على المثل»(٢).

فعجم الأشياء لمعرفة ضعفها أو صلابتها حقيقة، أما إثبات العجم واقعا على الرجل، فهو استعارة مكنية شبه فيها الرجل بشيء يعض ويعجم، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالعجم.

ولازم المشبه به فيها هو الفعل الماضى (عجم) والمشبه مفعول به، وهو الرجل، ويبدو أنها استعارة مطلقة، وقد عبر عنها بلفظ (المثل) فى قوله (وعجم الرجل رازه

---

(١) لسان العرب: ٦/٤٣٦٤ (نحر) والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٥/٢٧.

(٢) لسان العرب: ٤/٢٨٢٧ (عجم). ومعنى نكب كنانته - نثر ما فيها. المصدر نفسه ٦/٤٥٣٥ (نكب).

على المثل) أما قول الحجاج (إن أمير المؤمنين نكب كنانته فعجم عيدانها إلخ) فيتراءى لى أنه استعارة تمثيلية شبه فيها حال أمير المؤمنين وهو يختار أحد رجاله ليكون واليا على العراق بمن يروز أعوادا عنده ليتخذ منها (عصا) – مثلا – لأن أمير المؤمنين يختار رجالا ولا يختار أعوادا.

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة النطق للكتاب، فقد قال: «نطق الناطق ينطق نطقا تكلم، والمنطق الكلام والمنطيق البليغ أنشد ثلعب:

والنوم ينتزع العصا من ربها ويلوك ثنْى لسانه المنطيق

وقد أنطقه الله، واستنطقه أى كلمه، وناطقه... وكتاب ناطق بين على المثل كأنه ينطق...»[1].

واضح أن النطق من الإنسان حقيقة، أما إسناده وإثباته للكتاب، وهو جماد، فتلك استعارة مكنية شبه الكتاب بالإنسان الناطق، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق.

ولازم المشبه به وقع خبرا، وهو (ناطق) والمشبه مبتدأ وهى استعارة مطلقة لم تقترن بملائم للمشبه به، أو المشبه.

رابعتها: أن يذكر أمثلة للاستعارة المكنية دون أن يصرح بشيء مما سبق، فمن ذلك ما أومأ إليه من استعارة الإرادة للجدار، والفئوس، والرمح فقد قال:

«وأراد الشيء شاءه قال ثعلب الإرادة تكون محبة، وغير محبة... وقوله عز وجل: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** ﴾ [الكهف: ٧٧] أى أقامه الخضر، وقال يريد، والإرادة إنما تكون من الحيوان، والجدار لا يريد إرادة حقيقية؛ لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين فوصف الجدار بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، ومثل هذا كثير فى اللغة والشعر قال الراعى:

فى مَهْمَهٍ قلقت به هاماتها قلق الفئوس إذا أردن نصولا

وقال آخر:

يريد الرمح صدر أبى براء ويعدل عن دماء بنى عقيل»[2]

---

(١) لسان العرب: ٦ / ٤٤٦٢ (نطق).
(٢) لسان العرب: ٣ / ١٧٧٢ (رود).

فنجد صاحب اللسان فى كلامه المتقدم، قد شخص، وصور الاستعارة المكنية تشخيصا واضحا دون أن يصرح بلفظ استعارة، أو تشبيه، أو مثل، مبينا أن الإرادة لا تكون من الجدار على سبيل الحقيقة، وإنما على سبيل الاستعارة؛ لأن الجدار لما تهيأ للسقوط، واستعد له صار كأنه إنسان يهم، ويتحفز، وإثبات الإرادة للجدار استعارة تخييلية.

ومثل ذلك استعارة الإرادة للفئوس فى بيت الراعى، واستعارتها للرمح فى البيت الأخير.

* * *

حول مواقع الاستعارة التخييلية من الإعراب

الاستعارة التخييلية أو لازم المشبه به فى الاستعارة المكنية تأتى – كما ظهر من الشواهد والأمثلة التى سلف ذكرها – على عدة صور:

إحداها: أن تكون مضافا كما فى قول الأعرابية ترثى ولدها:

ألقى عليه الدهـر كلكله من ذا يقوم بكلكل الدهر

وكما فى قول الكميت:

واحتل برك الشتاء منزله وبات شيخ العيال يصطلب

وكما فى قولهم: نحر الظهيرة، أو نحر النهار، وغير ذلك.

ثانيتها: أن تكون صفة مفردة كما فى قول الكميت:

إليكم ذوى آل النبىّ تطلعت نوازع من قلبى ظماء وألبب

وكما فى قول غيلان الربعى:

حتى إذا شق بهيم الظلماء وساق ليلا مرجحن الأثناء

أو جملة كما فى قول الحجاج: إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها... فإن جملة (قد أينعت) صفة لكلمة (رءوس).

ثالثتها: أن تكون خبرا مفردا، وهو وصف فى المعنى كما فى البيت الذى أنشده ابن الأعرابى:

وبلدة مجهل تمسى الرياح بها لواغبا وهـى نـاء عـرضها خـاويـة

فإن لواغبا خبر تمسى.

وكما فى قول الآخر:

قلبى من الزفرات صدعه الهوى وحشاى من حـر الفراق أميم

وكما فى البيت الذى أنشده ثعلب:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى أصم وأذنـى غير صماء

وكما فى قولهم: كتاب ناطق، وغير ذلك.

أو تكون خبرا وقع جملة، كما فى قول على - رضى الله عنه - المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق فإن جملة (يزكو على الإنفاق) خبر (والعلم).

رابعتها: أن تكون فعلا ماضيا ويبدو أنه حينئذ يقصد منه ما فيه من الحدث مجردا عن الزمان فيكون صفة فى المعنى كما فى قول عبدالله بن سبرة الجرشى:

ساقيته الموت حتى اشتف آخره فما استكان لما لاقى ولا ضرعا

فاللازم (الاشتفاف).

وكما فى الحديث (أطت السماء، وحق لها أن تئط...) وكما فى قولهم: استتب الأمر، وقولهم: عضه الدهر، وغير ذلك، أو تكون فعلا مضارعا كما فى قول الشاعر:

يريد الرمح صدر أبى بـراء ويعدل عـن دمـاء بنى عقيل

وكما فى قول ذى الرمة:

يدف علـى آثارهـا دبرانها فلا هـو مسبوق ولا هو يلحق

خامستها: أن تكون مجرورا كما فى قول الشاعر:

إذا كشف اليوم العماس عن استه فلا يرتدى مثلى ولا يتعمم

فإن قوله: (استه) لازم للمشبه به. وهذه الشواهد والأمثلة، فيها مادة علمية يمكن الإفادة منها فى مناقشة بعض القضايا البلاغية، التى تحاور فيها بعض علماء البلاغة، مثل تلازم المكنية والتخييلية، أو عدم تلازمهما، ورد الاستعارة التبعية إلى مكنية، وهل يتأتى ذلك فى كل استعارة أو أنه راجع إلى الذوق وغير ذلك.

ولعل الله يهيء لهذه الشواهد والأمثلة بعض الباحثين فيفيد منها، ويستثمرها فيما يعود على الدرس البلاغى، والبيان العربى بالنفع والفائدة.